

لماذا يكثر العميان في وادي النيل

اذا كان لا بد لكل معاول من علة فلا ريب ان لكثرة العميان في وادي النيل علة لا يليق باولي العلم اهل البحث عنها ومتى وجدت لا يجدر باولي الامر التقاعد عن ايجاد الوسائل لازالتها او تلطيفها على الاقل . والحقيقة ان لكثرة امراض العين وكثرة العميان في هذه البلاد عللاً كثيرة لا علة واحدة كما سنوضح ذلك . غير انه وإن كانت كثرة امراض العميون قد بلغت في مصر حداً يُضرب به المثل فليست مصر البلاد الوحيدة في المنطقة الحارة التي تكثرت فيها تلك الامراض بل على سطح الكرة اماكن اخرى في هذه المنطقة اوعلى مقربة منها كبلاد العرب والهند وطرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش وفي تلك البلاد تكثر أيضاً امراض العميون ويكثر العميان لا مجرد وقوعها في المنطقة الحارة بل لاسباب اخرى جمّة سنأتي على بيانها . غير ان تلك الاسباب تختلف في الزيادة والنقص باختلاف تهجر البلاد او تقدمها في العلم والمدنية وال عمران والثروة . ولا شك ان كثرة العميان ضربة من اشد الضربات وعلّة من اقوى العلل التي تعيق البلاد في سبيل الارتقاء . ولا بد لنا اذا اردنا تخفيف وطأة امراض العين في مصر ان نبحث عن اسباب هذه الامراض وشدة وطأتها لتنتقيها او على الاقل نخفف مضارها

وقبل الخوض في الموضوع اقول كلمة لكل من يقرأ هذه السطور راجياً منه ان يميل بها وهي ان يتقيد بما سقراه الاميين المحيطين به الذين لا يدركون فائدة اتقاء الشرور ولا يعرفون للنظافة قيمة وفيهم تكثر الامراض بوجه الموم وامراض العين بوجه خاص وهم الفئة التي لاجلها نكتب ونؤلف ونشر فاذا كانوا لا يظلمون على ما نكتب ونحن لا نكتب الا لهم فما الفائدة من كتاباتنا واضاعة الوقت . ولكن اذا كان كل واحد من قراء الجرائد والمجلات يفيد بما يقرأه بعض الذين يعرفهم من الذين لا يقرأون امكنتا ادراكك بعض الغرض المقصود ان لم ندر كلمة

اذا نظرنا الى امراض العين بوجه عام امكنتا ان نسميها الى قسمين كبيرين : القسم الاول يشمل الامراض التي تنشأ عن اسباب مصدرها الجسم نفسه لعلة اوعلى فيه واهم هذه العلل الداء الزهري وهي تعترى في الغالب التسم الخلفي من العين حيث تضر باغشيتها الباطنة . والامراض التي من هذا النوع تضر باهل الشرق أكثر مما تضر باهل الغرب لان هؤلاء يقدرون الامور قدرها ويهتمون بمعالجة انفسهم ويتداركون المرض في بدء ظهوره فيخففون

عنهم اضراراً ويُلجأون الى الاطباء غير معتمدين علي خرافات العصور الخوالي بخلاف الجهلاء من اهل البلاد الشرقية الذين لا يبالون بما يصابون به من الامراض او يركنون في معالجة انفسهم الى غير اهل العلم او يعتمدون على الخرافات الباطلة كما سنذكر ذلك. ومع هذا فلا تُعد اضرار هذه الامراض الباطنة شيئاً بالنسبة الى اضرار الامراض الاخرى التي يشتملها القسم الثاني والقسم الثاني يشمل امراض العين التي تسببها العوامل الخارجية وتعتري القسم الامامي من العين. وهي الامراض التي يهمننا البحث في اسباب كثرتها في مصر والبلاد الحارة وتعدر شفائها وقد فقد البصر الذي بنشأ عنها

فانحيت الآن في هذه الاسباب ولنشرح الطرق الواقية من كل سبب علي حدته .
السبب الاول والاكبر — الجهل : لا مشاحة ان الجهل هو من اقوى الاسباب في كثرة امراض العين وتعدر شفائها ووفرة العميان في البلاد الشرقية الحارة المقصرة في مضمار العلم والمدنية . وقد قلتمت الجهل على كل سبب لان الاسباب الاخرى التي تساعد انتشار امراض العين في البلاد الحارة يمكن العاقل المتعلم ان يتقيها والدليل على ذلك ان العقلاء من اهل مصر والبلاد الشرقية الحارة والعدد العظيم من النزلاء الاجانب قلما يصابون بما يصاب به اهل الجهل في تلك البلاد نفسها مع انهم كلهم معرضون لاسبابها على حد سوي . واذا اصيب العامل بمرض في عينه لا يضر به مثل ما يضر الجاهل اذا اصيب به لان العاقل يتدبره فيتحاوص منه والجاهل يهمله فيعمى به

والجهل اشبه شيء بجزع شجرة ضخمة تنفرع منه فروع كثيرة وكل فرع يكون اصلاً لعمال وشروع كثيرة . ومن فروع الجهل

اولاً ترك الوقاية والعلاج اعتماداً على القضاء والقدر للتلصص من المرض . فاذا كان انسان يعتقد انه لا يمدى بمرض معد ولو تعرض له اذا كان ذلك غير مقدور له ويمد يه ولو لم يتعرض له اذا كان ذلك مقدوراً لم يتق المخاطر ولم يسلم منها بل يكون معرضاً للخطر في كل لحظة من حياته . وفي كل دين آيات واحاديث كثيرة توجب على المرء ان يعتني بنفسه ولا يلقي بها الى التهاكة فيجب على ائتمه ان يقشعوا عن الطبيعيين بهم من الاميين غياهب الغباوة وظلمات الجهل وان يهدوم سواء السبيل . الا ترى العاقل الذي يعتقد ان الوقاية من الشرور لا تتم الا باجتناب اسبابها يهرب من المصاب بداء معد كما يهرب من الاسد فينجو من العدوى وتراه اذا مرض يعتني بمعالجة مرضه ولذا قلنا يصيبه من اضرار امراض العين ما يصيب اهل الجباله

ثانياً عدم الاعتناء بالنظافة . لا يدرك الجاهل ما هي النظافة ولا يدري انها افضل الوسائل لانقاذ الامراض وشفائها فيترك غسل يديه ويهمل نظافة ملابسه حتى تتلبد عليه الاقذار وتفتح منه الروائح الكريهة ويحوم عليه الذباب . وجعل الامهات يحملن على عدم الاعتناء بنظافة اولادهن فيتركن الاقذار تتلبد على وجوههم وابدانهم وتسبب لهم كل علة . وكمن مرض تجلته الوساخة وتبعده النظافة . اما رأيت في ازقة المدن والقرى الاطفال يدبون ويمرغون في التراب والاحمال والاقذار متلبدة على اجسامهم وملابسهم والذباب يحوم عليهم . اولم تر بائعة السمن كلما تلوثت اصابعها يد مسحتها بازارها وزوجها يحدثك والبق يسرح على ثوبه والقمل يدب على عنقه وجارته في وسط دارها وابنها على قدمها يتغوط ويبول فيدها وينها ثم تدر على روثه شيئاً من التراب وتركته يجف في عرصة الدار او تدوسه برجلها وتظلي يد الارض

وإذا اردت ان اعدد لك انواع القذارة وضروب الوساخة التي تصم لساعيا الاذن وتحيش النفس اقتضى لي مجلد ضخيم . فكيف لا تكثر امراض العين في مثل هؤلاء القوم وكيف لا يعمون اذا اصابوا بها . والماء الذي لا بد منه للنظافة قد يكون في بعض الترع مزوجاً بدقائق التراب وهذا حكم الطبيعة لا يمكن دفعه ولكن في الامكان ترشيع هذا الماء حتى يصبح صافياً زلالاً صالحاً للشرب والاشغال . غير ان الجاهل لا يفكر في شيء من ذلك بل يشرب الماء بما فيه من العكر والكدر ويتسل به فيزيد طينة وجوهه بلة . اما رأيت ان بعض الجاهل اذا قدمت لهم كأساً من ماء النيل المرشح امتنعوا عن شربها وقالوا لك هذا ماء افرنجي لا يصلح شربه اذ ليس له طعم وخير الماء ما كان يجزىه اي بمكروه فالجهل سبب الوساخة والوساخة مجلبة للامراض ومن هذه امراض العين وهي لعدم النظافة والاعتناء بالمعالجة تأتي بالعمى لصاحبها وتسري عداواها الى المحيطين به وهذه سلسلة متتابعة الحلقات لا ينبغي للانسان ان يكون فيلسوفاً حتى يتتبعها من اولها الى آخرها

ولماذا لا تكثر امراض العين في رجال مصر المتعلمين المثقفين ولماذا تجد بينهم اعمى اليس لانهم يهتمون بنظافة اجسامهم وملابسهم ومسآكنهم وفرشهم ولأن نساءهم يعتنين بنظافة اجسام اولادهن وملابسهم ومضاجعهم . وهذا برهان حسي ودليل قاطع على ان النظافة من اقوى مقاومات امراض العين والعمى . فلماذا لا نتشبه كلنا بهؤلاء الرجال ونحذو حذوهم . ايظن احد ان النظافة تقتضي كثيراً من النفقة لا وحقتك فمن من اناس لا يمكنه الحصول على شيء من الماء والصابون وعلى زير من القحار ليرشخ به الماء . حتى ان سكان بعض المدن الكبيرة

في مصر كالقاهرة والاسكندرية ووطنها لم يعودوا في حاجة الى آلات للترشيح لان مياه الآبار الارتوازية التي كثر الآن حفرها صافية نقية لا تحتاج الى ترشيح واذا كانت شركات المياه في احدى المدن المذكورة تستقي من النيل فهي تعتي بترشيح مائه

ثالثاً . طب الركة : وهذا ضرب آخر من ضروب الجهل كثيراً ما يكون سبباً في ضياع العمر والبصر فقد ترى كثيرين من الجهال اذا اصيب احدهم بمرض لا يستشير المعالجين طبيياً خبيراً بطب العيون بل يعتمد على اشارات الدجالين والقطارين والعطارين والعجائز ويسلم امره لهم ويضع في عينه كلما يصفونه له من الذرور والمراهم وما شاكلها وهي ان لم تعم العين باسهل طريقة تعيقها عن الشفا وتكون احياناً كثيرة سبباً في تولد السحابات على القرنية وضمور المتحمة الى غير ذلك من المضاعفات التي تضرب العين ضرراً كبيراً . ولواردت ان اعدد للقارىء انواع العقاقير والمواد الكاوية وغير الكاوية المتباينة الانواع التي يصفها الدجالون والعطارون وتصادق على استعمالها كل حيزبون لضاق بي المقام ولأخذ العجب من القارىء كل مأخذ ولكن على سبيل الفكاهة آتى على ذكر بعض تلك المواد فمنها مسحوق اللؤلؤ والزمرد والياقوت وعصارة الطاطم والزرنج وعصارة البصل وجلد الفسيخ وروث البقر والحميز وبول البغال والبصل المسلوق الى غير ذلك من المواد التي يضحك ذكرها العاقل ويكفر

هذا من قبيل المعالجة بالعقاقير اما العمليات الجراحية التي يميز الدجالون والدجالات عملها فحدث عنها ولا جرح ولا سبأ عملية الشعرة . فكم وجه يشوه بهذه العمليات وكم ملتحمة تضمر وكم جفن يقصر لكثرة ما قص من جلده حتى لا يعود يغطي العين لانه لا ينطبق على الجفن الاسفل فينتج عن ذلك جفاف المتحمة والقرنية ولا تلبث هذه ان تنتج لمرضها للعوامل الخارجية وقصور الجفن عن سترها من غبار الهواء ولا تزال تقرحاتها تزايد حتى يفقد البصر اما الطرق التي يتخذها الدجالون لعمل هذه العمليات فما يقشر منه البدن لانها كلها طرق وحشية بربرية قلدها الروساخته وقص الجلد وتمزيقه حتى انه كثيراً ما يصاب المريض الذي يوقعه سوء حظ له بين ايدي اولئك القلة بفلغموني في اجفانه او بالحمراء التي تمتد الى دماغه وتذهب بحياته . وكيفية عملية الشعرة عند الدجالين والدجالات هي ان تؤخذ طية من جلد الجفن العلوي وتوضع في شق قصبة شديدة المرونة فيلزم الشق طية الجلد وتبقى القصبة مدلاة فوق العين حتى يعمل التئام بالجلد المضغوط بشق القصبة فيسود لونه ويسقط منفصلاً عن باقي جلد الجفن وتسقط القصبة معه

هذه هي عقاقير الدجالين وطرق عملياتهم في وادي النيل ونحن في القرن العشرين ونكاه

لا تخلو قرية من طيب معه شهادة قانونية يمكنه القيام مقام الدجال . ولو كان هؤلاء الدجالون يكفون بانقضاء من الرزق ومتاع الدنيا مقابل ما يأتونه من ضروب الجنائيات لالتسنا لهم بعض العذر وقتلنا ربما كانوا في فقر مدقع وهم يسعون وراء القوت وقد يدفع الجوع الانسان الى قتل اخيه . ولكنهم مع ما يقصونه من الاعمار ويمزقونه من الاجفان والاشفار ويلمسونه من الابصار لا يرحمون ولا يشفقون في جمع الدنار

وقد ادرجت في جريدة المقطم في اوائل شهر اوغسطس حادثة الدجالة الشهيرة ام نخلة التي هتكت اجفان فتاة بعملية الشعرة بطريقة القصة التي اتيت على ذكرها . وقد قطعت هذه الجانية من جلد الجنين العلويين جانباً عظيماً حتى انهما لم يعودا يتطيقان فتشوه وجه الفتاة وصار منظره فيجاً واحسبت هذه المسكينة . مرضة بسبب قصر جنيتها العلويين لحفاف المتحمة فصورها فتروح القرية تلتها فالعمرى . ألبت هذه الجانية بما يقضي بالعجب ونحن تحت ظل حكومة عادلة ذات قوانين صارمة . واعجب من ذلك هو ان تلك الفتاة المظلومة لم تكن مصابة بداء الشعرة مطلقاً فقد وجدت بعد البحث المدقق ان كل اهدابها متجهة الى الامام والاعلى كما في الحالة الطبيعية . واعجب من هذا وذاك ان تلك الدجالة الجانية اخذت من ابي الفتاة في مقابل ذلك الثمن الفظيع ثمانية جنيهات حتى الزمت الى بيع ما في داره

ولا شك ان وجود مثل هؤلاء الدجالين ضربة قاضية على ابصار المصريين . ويجدر برجال الحكومة ان يجثوا عنهم ويعاقبهم على فظائهم لينقطع دابرهم ويستريح الناس من شرهم وهم على ما يقال كثار العدد ومنتشرون في البلاد انتشار الرباء

الست ترى معي ان الجهل هو الذي يدفع البسطاء الى مشاوره الدجالين والعمل بشورتهم والاحتمال بكاوياتهم التي تغمس البصر والتماس العمى من عملياتهم الجراحية . وهل بقي عندك ذرة من الريب في ان مثل هذه الامور لا تناقص في بلاد مصر وما شاكلها من بلاد الشرق الا بتاسع نطاق التعليم . لان الولد متى شب في المدارس وتعلم وتهذب عرف ان لكل فن رجالاً ولكل صناعة صناعاً وادرك خلافاً للجهلاء انه لا يجوز ان يكلف العطار بتطبيب العيون والدجال باعمال الجراحة كما لا يجوز ان يكلف المصور بعمل الاحذية والتجار بخياطة الثياب والكتاب ببناء البيوت والعريجي برصد الافلاك . ولكن كم سينقضي من الاعوام حتى نصل الى هذا الحد من الارتقاء والسواد الاعظم من سكان الشرق اميون لا يحسنون القراءة

الدكتور ابراهيم شادوي

ستأتي البقية

حتى اليوم

طبيب العيون